الفصل الأول

مراحل تحقيق النص

- المرغبات في تحقيق الكتاب.
- جمع النسخ.
- تصنيف النسخ إلى مجموعات.
- ترتيب النسخ من حيث أهميتها.
- معرفة قدم النسخة.
- الإعتناء بالسماعات والإجازات.
- تحقيق عُنوان الكتاب.
- تحقيق اسم المؤلف.
- تحقيق نسبة الكتاب إلى المؤلف.
- المقابلة بين النسخ.
- الفروق الجديرة بالإثبات.
- ما يثبت في متن الكتاب عند المقارنة.

المرغبات في تحقيق الكتاب

تتفاوت قيمة الكتاب بتفاوت المادة التي احتواها، فمن الكتب ما هو أصل في بابه، علم الناس أن صاحبه أتى فيه بشيء مبتكر، وقنّن علماً جديداً لم يسبق إليه بالتأليف، على أنه ينبغي التحفظ في مفهوم وصف الابتكار، بحمله على معنى خاص، عندما يسند استقلالاً إلى آحاد الناس، إذ الابتكار بالمعنى الكامل لهذا الوصف، نادر الوجود في باب المعرفة، فإن الفرع من العلم، كثيراً ما يشترك في بنائه جيل من العلماء، أو أجيال، كل يضيف لبنة إلى بنائه، فإذا اكتملت اللبنات، نُسب إلى واضع آخر لبنة فيه، فطار به ذكره، واستقل به دونهم، ونسي الناس أسماء السابقين.

ومن ثمّ فإن ما يلوح في مقدمات الكتب من مؤلفيها، أو مما يقال عنهم من عبارات الإطراء بالسبق في هذا الميدان، أو ذاك، من مثل عبارة: «لم أُسبق إليه»[1] أو «لم يسبقه إليه أحد» ينبغي أن تفهم في إطار هذا التحديد السابق لمعنى الابتكار، أو تحمل على معنى التجديد فيما كان موجوداً، بتهذيبه وحسن عرضه، وجمع شتاته.

---

(١) يُروى أن الجوهري صاحب (الصحاح) أصابته وسوسة في آخر عمره، فاعتلى سطح الجامع القديم بنيسابور، وقال: أيها الناس إني عملت في الدنيا شيئاً لم أُسبق إليه، يعني كتابه (الصحاح) فسأعمل للآخرة أمراً لم أُسبق اليه، وضم إلى جنبيه مصراعي باب، وتأبطهما وزعم أنه يطير، فألقى بنفسه من أعلى مكان في الجامع فمات. انظر مقدمة (الصحاح) ص ١٠٩. ومناهج العلماء المسلمين ص ١٧٣.

مثال ما عُدّ من التأليف جديداً في بابه غير مسبوق إليه فيما وصل إلينا من تراث: كتاب (العين) المنسوب للخليل بن أحمد (ت ١٧٠ هـ) وتقنين الأوزان والبحور الشعرية في علم العَروض له أيضاً، وكتاب (الرسالة) للإمام الشافعي (ت ٢٠٤هـ.) في أصول الفقه، و«القواعد الفقهية» لأبي الحسن الكَرخي (ت ٣٤٠هـ.).

فهذا النوع من التأليف أنفس ما تعقد عليه العزائم في التحقيق، وعليه الناس يتنافسون، وإليه يطمحون، لأنه إضافة في فرع من فروع المعرفة جديد، ثم إن الغالب على كتب القرون الأولى الأصالة والتجويد، وطابع الابتكار والاستقلال، فكلما رجع تاريخ تأليف المخطوط قِدماً في القرون، افترض فيه أن يكون أجود، وبالتحقيق أجدر.

وهذا الحكم كلي أغلبي قد تنخرم فيه القاعدة، فيفضل اللاحق السابق.

المرتبة الثانية:

هناك كتب تلي النوع الأول في الأهمية، وهي كتب لها طابع التجميع، والنقل من مصادر سابقة عنها، ولكن فقدت مصادرها بصفة كلية أو جزئية، فلم يعد لها وجود في فهارس المكتبات، وبذلك حلّت هذه الكتب محلّ أصولها في الأهمية حتى يُعثر على أصولها.

مثال ذلك: كتاب «العتبية» لمحمد بن أحمد العتبي (ت ٢٥٥ هـ.) فهو كتاب مستخلص من «الواضحة» لعبدالملك بن حبيب (ت ٢٣٨ هـ.)، ولذلك يسمى أيضاً «المستخرجة من الواضحة»، و«الواضحة» فقدت لم يبق لنا منها إلا عدد قليل جداً من الورقات[1].

أيضاً كتاب «المُزْهِر في علوم اللغة وأنواعها» للسيوطي، هو من الكتب التي تقوم على التجميع المحض، ولكن تبقى له أهمية من حيث إن بعض مصادره مفقود. وهذا النوع من الكتب كثير.

---

(١) انظر تاريخ التراث العربي ٢/ ١٣٧.

المرتبة الثالثة:

كتب مواضيعها مطروقة، ولها نظائر في فنِّها، ولكن تميَّزت عن غيرها في موضوعها بأسلوب رفيع، ومبنى شريف، أو حسن عرض وتحرير وتخليص، أو غير ذلك من الأغراض المعتبرة في التأليف، فإن من ألّف في باب من أبواب العلم طرقه السابقون، لا بدّ لكي يكون تأليفه في عِداد الأغراض الصحيحة التي تستحق الاهتمام، أن يدور على واحد من الأغراض الستة الآتية:

١ ـ تتميم الناقص.

٢ ـ الاستدراك وتصحيح الخطأ.

٣ ـ شرح المبهم المستغلق الذي عمّاه الاختصار.

٤ ـ اختصار المطول الذي يُملّ طوله بما لا يخل بمعناه ولا يبهمه.

٥ ـ تجميع أشتات المتفرق بتقريبه وجمع نظائره.

٦ ـ ترتيب المشوش، ترتيباً يجعله قريب التناول للمتعلمين[١].

وقد لخّص القاضي ابن العربي أغراض التأليف هذه، فوصف الكاتب الذي يُعتدّ بكتابه في باب التصنيف بقوله: «إمّا أن يخترع معنى، أو يبدع وضعاً ومبنى، وما سوى هذين الوجهين فهو تسويد الورق، والتحلي بحلية السَّرَق»[٢].

أما كِبَر الكتاب فلا يكون عائقاً دون تحقيقه، إذا كانت مادّته جديرة بالتحقيق.

والطلبة غالباً ما ينصرفون عن تحقيق الكتب الكبيرة، ذات الأجزاء والمجلدات، لصعوبة العمل فيها، بسبب طولها، ولكن ينبغي التغلب على هذه الصعوبة، بحيث يتمّ التنسيق بين الطلبة، فيُسنَد تحقيق الكتاب الكبير،

---

(١) انظر مقدمة ابن خلدون ١/١٠٢٩، ومناهج العلماء المسلمين ص ١٤٧.

(٢) انظر فتح المغيث ٢/٣٩١.

ذي المجلدات إلى فريق منهم، ويحدّد لكل طالب مقدار مناسب منه يتولاه، ويسند وضع مقدمته مثلاً، إلى من يحقق الجزء الأول منه، ومن يحققون الأجزاء الباقية، يسند إلى كل منهم دراسة باب من أبواب الكتاب، بالإضافة إلى تحقيق الجزء الخاص به، وبذلك يتمّ إخراج كثير من كتب الأمهات، والموسوعات، في الحديث، والفقه، والتفسير، واللغة، والأدب، محقَّقة تحقيقاً علمياً متقناً، بدلاً من الانصراف عنها، أو مجرد طبعها، وإخراجها بأخطائها، وتصحيفاتها، أو ناقصة التخريج والتوثيق، كما يحدث في الغالب عندما يتولى تحقيق الكتاب الكبير الحجم شخص واحد.